* استمـــــارة المشـــــاركة *

الاسم : **حسان**

اللقب : **تريــكي**

المؤهل العلمي: **ماجستير في علم الاجتماع**

الرتبة العلمية: **أستاذ مساعد**

المؤسسة المستخدمة: **جامعة الطارف**

البريد الالكتروني: hacenesocio@yahoo.fr

الهـــاتـــــــــــــــــــف : **06 62 80 71 91**

عنوان المداخلة: **دور السياحة في تشكيل الرأسمال الثقافي، الرمزي والاجتماعي: قراءة في فكر بيار بورديو**

المحور : **الاطار المفاهيمي: السياحة، التنمية السياحية، علاقة السياحة بالتنمية المجتمعية**

دور السياحة في تشكيل الرأسمال الثقافي، الرمزي والاجتماعي: قراءة في فكر بيار بورديو

الأستاذ: تريكـــي حسان
قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الطارف

*** مقدمة:**

يعتبر رأس المال مفهوما مركزيا في المشروع النظري لبيار بورديو Pierre Bourdieu [1]، فهذا المفهوم لا يقتصر فقط على البعد الاقتصادي الكلاسيكي، وإنما يتجاوز ذلك إلى أبعاد أخرى متنوعة مثل الرأسمال الثقافي، الرأسمال الاجتماعي، الرأسمال الرمزي.. وقد أصبح هذا المفهوم أداة منهجية يستخدمها الباحثون في مختلف العلوم الاجتماعية، نظرا لخصوبته الاستكشافية، وقدرته على تفسير متعدد الأبعاد للظواهر الاجتماعية.

انطلاقا من ذلك، سنحاول في هذه المساهمة العلمية، الاعتماد على مفهوم الرأس المال عند بورديو لتقديم رؤية سوسيولوجية تحليلية مغايرة للنشاط السياحي، تسمح بكشف الدلالات الاجتماعية والأبعاد الخفية وغير المعلنة "le non-dit" التي ينطوي عليها النشاط السياحي. فالسياحة كنشاط اجتماعي وثقافي، تمثل جسرا للتواصل بين الحضارات والثقافات، ونافذة للاطلاع على التنوع الثقافي والحضاري، كما تمنح الفرصة للاحتكاك ونسج العلاقات الاجتماعية بين مختلف الأجناس والقوميات، فهي بذلك تسهم في تشكيل رأسمال متعدد الأبعاد لدى الأفراد.

أولا – مفهوم رأس المال في سوسيولوجيا بيار بورديو:

طرح بورديو منظومة مفهومية جديدة ترتكز عليها رؤيته للواقع، وهي رؤية مغايرة في كثير من جوانبها للرؤية الكلاسيكية في علم الاجتماع ، فلقد أعاد بورديو قراءة المفاهيم الكلاسيكية في علم الاجتماع، فأضفى عليها أبعادا جديدة ، ومنحها آفاقا سوسيولوجية أكثر اتساعا. كما أنه قام بصياغة مفاهيم جديدة ، أسهمت في إثراء المعجم السوسيولوجي، ومن أهم هذه المفاهيم نجد ؛ الهابيتوس Habitus ، رأس المال Le capital، العنف الرمزي violence symbolique ، الحقلchamps ..[2].

ويمثل مفهوم رأس المال مفهوماً مركزياً عند بورديو ، وهو مستمدا أساساً من علم الاقتصاد الكلاسيكي،

ويعني الثروة المتراكمة، ويستخدم في النظرية الماركسية للإشارة إلى العلاقة بين مالكي وسائل الانتاج وبائعي قوة العمل. أما بورديو فقد وسّع فكرة رأس المال المطروحة في علم الاقتصاد وفي النظرية الماركسية، فهناك عدة صور للرأس المال، مثل الرأسمال الثقافي capital culturel، الرأسمال الاجتماعي capital social، والرأسمال الرمزي capital symbolique، وعلى الرغم من أن هذه الأشكال من رأس المال تعد أقل وضوحاً من رأس المال الاقتصادي، إلا أنها تشترك معه في العديد من السمات، فهي تمثل قيمة لحامليها، وتتصف بالتراكمية، ويمكن أن تستثمر لتنتج منافع أو مزايا أخرى[3].

ثانيا – دور النشاط السياحي في تشكيل الرأسمال ثقافي:

يعبر الرأسمال الثقافي لدى بورديو عن المؤهلات والقدرات ، وكل أشكال المعرفة والخبرات التي يحصل عليها الفرد نتيجة التعليم والرغبة في المعرفة والبحث المتواصل والاجتهاد العلمي والتجربة التاريخية المتراكمة، والعمل الجماعي الدؤوب والمثابر. كما يمثل جملة المؤهلات الفكرية التي ينتجها المحيط الأسري والنظام التربوي، لتشكل أحد أدوات التحكم والتوجيه والتأثير في الفرد ، ويتم مراكمتها عبر الزمن وتمريرها من شخص الى آخر عن طريق المحاكاة والمشاركة والتقليد.

ويساهم النشاط السياحي بمختلف أنواعه في تنمية ومراكمة الرأسمال الثقافي للأفراد، من خلال مساهمته في تفتح ملكاتهم الذهنية والفكرية، واكتساب كل أشكال المعرفة والخبرات، والوصول الى التراث العالمي الثقافي والفني ، ويتم ذلك عن طريق مجموعة من الممارسات الثقافية؛ كزيارة المتاحف والمعالم التاريخية، والتعرف على عادات وثقافات الشعوب الأخرى ، وأنماط الصناعة التقليدية، وحضور التظاهرات الثقافية والمهرجانات والمؤتمرات والمعارض.

فالنشاط السياحي يشكل آلية للتواصل مع الثقافات الانسانية ، بغية التعرف على الجديد الذي تطرحه والآفاق التي ترسمها ، انطلاقا من خلفيتها العقائدية والفكرية ، وعن طريق هذا التواصل والانفتاح الثقافيين يتمكن الفرد من امتلاك الرؤية المستقبلية. فالتواصل الواعي مع الانتاج الثقافي العالمي، يوفر للفرد أدوات معرفية ومفهومية جديدة، تزيد من آفاقه الذهنية والفكرية وتعمق من طموحاته الثقافية، مما يؤدي إلى وصوله إلى مرحلة النضج الثقافي والفكري[4].

من جهتها تساهم السياحة العلمية في مراكمة الرأسمال الثقافي، وذلك بإثراء الرصيد العلمي والمعرفي للأفراد وتنمية مهاراتهم الفكرية، من خلال السفريات العلمية المنظمة والمؤطرة والمتمحورة حول موضوعا علميا محدد، سواء كان ذلك في مجال علم الأحياء، الآثار، الجيولوجيا، التكنولوجيا..إلخ.

فضلا عن ذلك لا يوجد مجال لإظهار الارتباط بين النشاط السياحي والرأسمال الثقافي أفضل من التعدد اللغوي، فالسياحة والأسفار يساعدان على تطوير قدرات الفرد اللغوية و يسمحان له بتعلم وإتقان العديد من اللغات، مما يمكنه من مراكمة رأسمال لغوي. فإتقان لغة ما لا يقتصر فقط على تعلمها في المدرسة أو

الجامعة، بل يتطلب توفر فرص حقيقية لاستعمال هذه اللغة، والتدرب على استخدامها بشكل مستمر، وبالتالي يشكل النشاط السياحي الدوري فرصة لإتقان العديد من اللغات.

والرأسمال اللغوي كشكل من أشكال الرأسمال الثقافي ، يتشكل عن طريق التحكم في استعمال أكثر من لغة، وهو يوفر لمن يمتلكه أرباحا مباشرة، خاصة عند ندرته، أي عندما يكون واقع توزيعه غير متساوي[5].

وعليه فإن تعدد اللغات هو حامل لرأسمال capital plurilingue يمكن استخدامه كعنصر فاعل في الكفاح الرمزي، وكسب الاعتراف الاجتماعي. وهو ما نلمسه في المجتمع الجزائري الذي تكونت فيه فئة أكثر تفتحا على الحداثة، بسبب قوة تراكم الموارد الاقتصادية والثقافية لديها. وهي فئة فرنسية اللغة والثقافة والتفكير تستعمل اللغة الفرنسية بكل تلقائية وعفوية في الشؤون العامة والخاصة، تحتكر معظم المناصب والامتيازات في الحياة الاجتماعية، مع التعالي على الواقع الثقافي العربي والتنكر له [6]. فبالإضافة إلى الاعتبارات التاريخية، نجد أن السياحة والأسفار – خاصة في اتجاه فرنسا – قد مكنت شريحة كبيرة من جيل الاستقلال من تعلم وإتقان اللغات الحية، وهو ما أصبح يشكل مظهرا من مظاهر التمايز الثقافي في المجتمع. ونشير هنا إلى أن التعدد اللغوي يمنح للفرد امتيازات اجتماعية كبيرة ، لا سيما في مجال احتلال المناصب والالتحاق بالوظائف، خاصة في الشركات العالمية وفي القطاعات التي يتواجد بها الاستثمار الأجنبي.

من جهة أخرى يمنح السياحة والأسفار للسائح فرصة إقتناء التحف والألواح الفنية من مناطق مختلفة من العالم ، مما يدعم رأسماله الثقافي في بعده المادي ، وذلك عن طريق حيازة ممتلكات ثقافية ذات بعد رمزي. اضافة إلى ذلك يمكّن النشاط السياحي الفرد من اكتساب الخبرات الثقافية، والتي يمكن أن تساهم في تنمية الأذواق والحس الجمالي، وتطوير أسلوب الحياة، واكتساب نمط التعامل الراقي. ومن شأن ذلك تكريس تمايز Distinction يرتكز على ملكة الذوق ومخزون القيم الجمالية ، والتي تتمظهر في طريقة اللباس، طريقة الكلام، الترفيه، الطبخ والاستهلاك...

ومن القضايا البارزة التي طرحها بورديو في سياق تحليلاته لمفهوم الرأس المال، نجد اهتمامه بالجسد ككيان يتم تشكيله اجتماعيا، حيث يرى أن **الجسد يمثل جانبا مهما من رأسمال طبيعي يدخل تحت المعنى الواسع للرأس المال الثقافي للفرد** ، ويتم انتاجه اجتماعيا من خلال الرياضة والترفيه وأنماط السلوك. كما يعتبر بورديو أن الجسد يخضع لعملية تشكيل اجتماعي أو نحت اجتماعي، فالبناء الاجتماعي للجسد يجعل من الفوارق الاجتماعية تبدو طبيعية ، فيحول الاختلافات البيولوجية الطبيعية إلى اختلافات في المكانات الاجتماعية[7]. انطلاقا من ذلك يمكن القول أن النشاط السياحي، قد يكون استراتيجية لمراكمة الرأسمال الطبيعي، وهنا يكون الدافع للسياحة هو البحث عن الرشاقة والجمال ، لتنمية وترقية الجسد كرأسمال طبيعي، وفي هذا السياق توجد مركبات سياحية متخصصة في هذا الشأن، وهي تشكل فضاءات للتمتع والاسترخاء، واسترجاع الحيوية واستعادة الجمال والنشاط والراحة النفسية، مع وجود خبراء للعلاج الطبيعي متخصصين في مجال الجمال، الرشاقة البدنية وتنشيط الجسم والروح.

ثالثا– دور النشاط السياحي في تشكيل الرأسمال الاجتماعي:

يعرف بورديو الرأسمال الاجتماعي "بأنه كمّ الموارد الواقعية أو المحتملة التي يتم الحصول عليها من خلال امتلاك شبكة من العلاقات الدائمة المرتكزة على الفهم والوعي المتبادل، وذلك في إطار الانطواء تحت لواء جماعة معينة، فالانتماء لجماعة ما يمنح كل عضو من أعضائها سنداً من الثقة والأمان الجماعي[8].

يتضح، إذن، أن الرأسمال الاجتماعي يشير إلى العلاقات التي يكونها الأفراد، والتي تمثل مصدراً قوياً للحصول على منافع وأرباح، كما تتيح هذه العلاقات الفرصة للوصول الى فوائد وامتيازات اجتماعية، وفي هذا الاطار يرى Coleman أن امتلاك رأسمال اجتماعي يترتب عليه العديد من الفوائد أهمها[9]:

1 – الرأسمال الاجتماعي يمكن أن يكون مصدرا للعديد من الامتيازات والمنافع كالمعلومة ، النفوذ والمراقبة وعلاقات التضامن.

2 – الرأسمال الاجتماعي يمكن أن يكون مفيدا للوصول لهدف أو لعدة أهداف.

ويوجد الآن العديد من الاتجاهات المثمرة للبحث الإمبيريقي التي استوحت، أو على الأقل تأثرت ، بنموذج بورديو في رأس المال الاجتماعي، أحد هذه الاتجاهات قدم دليلاً قوياً على الارتباط بين رأس المال الاجتماعي، والحصول على وظائف أفضل ، والترقي المهني المبكر ، والأرباح العالية ، والرعاية الصحية العضوية والنفسية، وكشف اتجاه آخر من هذه البحوث عن أن نقص رأس المال الاجتماعي قد فاقم مشكلات الفقراء. إن الإقصاء الاجتماعي، وهو أحد أشكال نقص رأس المال الاجتماعي ، يؤدي بالأفراد والأسر، وكل الجماعات غير المستفيدة من الامتيازات الاجتماعية ، إلى السقوط في دائرة الفقر [10]. وعليه يمكن القول أن رؤية بورديو تقدم فهماً أفضل لفوائد شبكة العلاقات والاتصالات في الحصول على امتيازات مهمة في مواقع اجتماعية متنوعة. فشبكة العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الأفراد، والتي تشكل رأس ماله الاجتماعي، يمكن أن تستخدم بطريقة استراتيجية للحصول على منافع، وتساعد على خلق وترسيخ مزايا اجتماعية للفاعلين.

انطلاقا من ذلك يتضح لنا أن النشاط السياحي يشكل فرصة للأفراد، لتكوين شبكة علاقات اجتماعية واسعة، من خلال الاحتكاك والتواصل، وعن طريق الدعوات المتبادلة والترفيه المشترك، هذه العلاقات الاجتماعية تشكل مصدرا قويا للحصول على منافع ومزايا اجتماعية. وفي هذا الاطار تستوقفنا العديد من الأمثلة التي تؤكد هذا الطرح، فالمخيمات الصيفية و مراكز الراحة والاصطياف التابعة لقطاعات مهنية معينة تشكل فضاء لتوطيد العلاقات وتطوير شبكات اجتماعية مهنية بين المنتمين لنفس القطاع. ففي الجزائر تتوفر العديد من المؤسسات الاقتصادية والادارية والنظامية ، على هياكل سياحية تابعة لها، كالمراكز السياحية التابعة لمؤسسة سوناطراك، ومراكز الراحة العائلية لعمال التربية ، ومراكز الراحة التابعة للجيش الوطني الشعبي.. فبالإضافة الى كونها مركبات سياحية للراحة والاستجمام، فهي تمثل ووسيلة لتدعيم روح الا نتماء

والولاء للمؤسسة، كما تشكل فضاءات للتعارف والتواصل ، وبالتالي مراكمة رأسمال اجتماعي، يمكن أن يساهم في تحقيق منافع مهنية، وتدعيم المركز التنافسي في الحقل المهني للعديد من العمال والموظفين.

فضلا عن ذلك، تشكل سياحة المؤتمرات والمهرجانات والتربصات العلمية فرصة مواتية للالتقاء والتعارف والتواصل بين ال باحثين والمختصين وربط العلاقات فيما بينهم ، كما تسمح بتوسيع الشبكات الاجتماعية، مما يساهم في نمو الرأسمال الاجتماعي ، وخير مثالا عن ذلك التربصات العلمية بالخارج التي يستفيد منها الأساتذة الجامعيون في الجزائر، والتي منحت لهم فرصة التواصل وربط العلاقات مع العديد من الأساتذة والباحثين من دول مختلفة، مما يفتح آفاقا أرحب للشراكة والتعاون العلمي.

كما تشكل السياحة التجارية فرصة لرجال الأعمال والمستثمرين والتجار لتوسيع شبكة علاقاتهم، وتدعيم رأسمالهم الاجتماعي، من خلال زيارة الأسواق والمعارض التي تقام في مختلف الدول، ومن شأن ذلك أن يعود عليهم بمنافع اجتماعية واقتصادية مختلف ، وأرباح عالية، " فالرأسمال الاجتماعي جد مهم في الحياة الاقتصادية لأن الشبكات والمعايير والثقة تسهل على التعاون وبناء الثقة الضروريتان في عالم التجارة والاستثمار"[11].

من جهة أخرى يتطلب امتلاك رأسمال اجتماعي العمل على اقامة وصيانة العلاقات الاجتماعية ومضاعفتها بإستمرار، ولتحقيق هذا يتبع الأفراد استراتيجيات مختلفة لمراكمة الرأسمال الاجتماعي ، كالدعوات المتبادلة والترفيه المشترك ، والإقبال على السياحة الجماعية المنظمة من طرف وكالات أسفار ، اضافة إلى التردد على الأماكن السياحية ا لراقية والفنادق الفخمة ل لإحتكاك بالطبقات المتميزة والمسيطرة ، وبحثا عن العلاقات. خاصة وأن حجم رأس المال الاجتماعي الذي يتحصل عليه فاعل معين ، يعتمد على حجم شبكة العلاقات التي يمكنه إدارتها بكفاءة، ويعتمد كذلك على كم رؤوس الأموال الأخرى كرأس المال الثقافي والرمزي والاقتصادي التي يمتلكها الفاعلون الآخرون المشاركون في شبكة العلاقات . لذلك نجد الأفراد ينفقون من رأسمالهم الاقتصادي لمراكمة رأسمالهم الاجتماعي، وهذا كون شبكة العلاقات الاجتماعية التي يمتلكها الأفراد، يمكن أن تستخدم بطريقة إستراتيجية للحصول على مزايا وفوائد اجتماعية.

رابعا– دور النشاط السياحي في تشكيل الرأسمال الرمزي:

يرتبط الرأسمال الرمزي بالهيبة والسمعة والقيمة التي يضفيها الناس على الفرد . ويقصد بالرأسمال الرمزي الموارد المتاحة للفرد نتيجة امتلاكه سمات محددة ، كالشرف، الهيبة Prestige، السمعة الطيبة، والسيرة الحسنة التي يتم ادراكها وتقييمها من جانب أفراد المجتمع. ويرى بورديو أن رأس المال الرمزي هو مثل أي ملكية أو أي نوع من رأس المال – طبيعي ، اقتصادي، ثقافي ، اجتماعي – يكون مدركاً من جانب فاعلين اجتماعيين تسمح لهم مقولات إدراكهم بمعرفتها والإقرار بها، ومنحها قيمة . ويرتكز رأس المال الرمزي على الذيوع والانتشار ، والاستحسان، إنه يرتبط بالهيبة والسمعة والشرف، التي تلاقي تقديراً من

الآخرين، ويتطلب تراكم هذا الشكل من رأس المال جهداً متواصلاً من أجل الحفاظ على العلاقات التي تؤدي الى الاستثمار المادي والرمزي له[12].

وانطلاقا من ذلك يمكن القول أن الأفراد يتبعون عدة استراتيجيات لمراكمة الرأسمال الرمزي، ومن أجل التميز تجاه أعضاء الطبقات الأخرى ، وفرص إظهار التميز في الحياة الاجتماعية متعددة، يمكن أن تكون في اللباس، التأثيث الداخلي، السياحة، الترفيه، الرياضة، الطبخ..

ففي مجال السياحة نجد أن تصنيف وترتيب الهياكل السياحية من فنادق ومطاعم إلى درجات تقاس بعدد النجوم له بعد رمزي ويحمل قيمة رمزية لها علاقة بمراكمة الرأسمال الرمزي ، وبذلك تصبح الإقامة في الفنادق من صنف خمس نجوم لها بعد رمزي، إذ تمثل دلائل خارجية للثراء، تعكس حجم الرأسمال الاقتصادي وتكشف الفوارق الطبقية، وبالتالي يصبح الانفاق السياحي استراتيجية للتعريف بالأنا واظهار المكانة في الفضاء الاجتماعي، ووسيلة لضمان نوع من الاعتراف الاجتماعي واثبات هوية خاصة، تكون موضع احترام وتقدير من طرف أفراد المجتمع، خاصة بالنسبة للبرجوازية الصاعدة. فلوتياد الأماكن السياحية الفخمة، والاقامة في السلاسل الفندقية ذات الشهرة العالمية كهيلتونHilton ، شيراتون Shiraton.. قد يندرج ضمن استراتيجية رمزية ينتهجها الأفراد للتموضع في عالم رمزي، يعكس التمثل الذي يحمله الفرد عن وضعه وموقعه في الفضاء الاجتماعي، فالهيبة كما يقال تشترى "le prestige se paie" [13].

وفي هذا السياق بدأت تنتشر في المجتمع الجزائري أنماط الاستهلاك التفاخري ، كإقامة الحفلات في الفنادق الفخمة، وقضاء الإجازات والعطل السنوية في المركبات السياحية بالخارج للتباهي والتميز الاجتماعي، وكل ذلك يشكل مؤشر عن تغير قيمي، وهو ما أكده الباحث **مصطفى بوتفنوشات** ، حيث أشار إلى أن "مختلف الشرائح الاجتماعية ومختلف الفئات العمرية مولع ون بفكرة إمتلاك مكانة إجتماعية ترتكز على نمط الاستهلاك ، فتوسيع قاعدة الاستهلاك وتأسيس نظام استهلاك مظهري ، أصبحا من الأهداف الاجتماعية– الثقافة ذات الأولوية لدى الفرد الجزائري [14]. فالاستهلاك الرمزي يهدف بالدرجة الأولى إلى إثبات المكانة الاجتماعية، وإظهار الدلائل الخارجية للثراء لكسب نوع من الاعتراف الاجتماعي، وهو حسب Marcoux يرمز في التمثل الاجتماعي إلى النجاح، الغناء والهيبة.[15].

وعليه أصبح النشاط السياحي يستخدم كاستراتيجية للتباهي وإظهار المكانة في الفضاء الاجتماعي ، فحتى **الوجهة السياحية** لها بعد رمزي، فإختيار أبناء الطبقات الميسورة لمدن عالمية مشهورة كباريس، لندن، اسطنبول، شرم الشيخ.. لقضاء **شهر العسل** أو العطل السنوية، يشكل استراتيجية لإظهار الثراء، وكسب نوع من الاعتراف الاجتماعي . ويندرج هذا ضمن ما أشار إليه Packard والذي يرى أن " لأفراد يبذلون جهد متواصل لإظهار دلائل مرئية تثبت علو منزلتهم الاجتماعية"[16]..

ومن منظور بيار بورديو يدخل رأس المال الرمزي مختلف الحقول والمجالات ، ومختلف أشكال السلطة والهيمنة، ويتمثل في مختلف أشكال العلاقات الاجتماعية، فخاصية الشرف تحمل معاني أخلاقية محددة، بحيث أن من يملك خصائص الشرف – كالقيم والمعتقدات والتصرفات – يعد شريفاً، ومن لا يملكها لا يعدّ كذلك، ويكون الشخص الشريف موضع احترام وثقة وتقدير، تبعاً لما يملكه من رأس مال رمزي، ومن ثم يرتبط رأس المال الرمزي بأهمية الموقع الذي يشغله الفرد في الفضاء الاجتماعي من جهة، وبالقيمة التي يضفيها الناس عليه من جهة أخرى، وتتعلق هذه القيمة بأنظمة استعدادات الأشخاص وتصوراتهم المتوافقة مع البنى الموضوعية[17]. وانطلاقا من هذا التحليل، يمكننا كشف الأبعاد الخفية غير المعلنة لظاهرة تشهد تناميا في المجتمع الجزائري، وهي التردد على البقاع المقدسة لأداء العمرة أو فريضة الحج من طرف أفراد ليس غرضه م القيام بفريضة دينية ، بقدر ما هم متلهفون للحصول على الاعتراف الاجتماعي والسمعة والشرف من خلال لقب «**حاج**"، وحتى يكونوا موضع احترام وثقة وتقدير في المجتمع. ومثالا عن ذلك المنتمون إلى البرجوازية الطفيلية الصاعدة، والتي تملك رأسمال اقتصادي معتبر وينقصها رأسمال رمزي. فهؤلاء الأفراد تمكنوا من تكوين رأسمال اقتصادي(ثروة، ممتلكات) ، إلا أنه يفتقد لقاعدة موضوعية وأسس مشروعة تبرره – بطرق غير شرعية – وبالتالي فهم يقبلون على السياحة الدينية لتشكيل الرأسمال الرمزي الذي ينقصهم. وعليه فإن زيارة البقاع المقدسة كنشاط سياحي ديني تحولت إلى استراتيجيةٍ لـلاستثمار الرمزي، وبهذا أصبحت السياحة الدينية تشكل استراتيجية خفية لامتلاك هوية اجتماعية، وشرعية مستمدة من الحقل الديني.

خامسا – تطور مفهوم الرأس المال وعلاقته بالنشاط السياحي:

وسع المنظرون الأمريكيون Coleman, Putnam, Fukuyama فكرة رأس المال المطروحة من طرف بيار بورديو، من خلال التركيز على البعد الجماعي لرأس المال، فهذا الأخير قد يكون ملكية جماعية مشتركة بين أفراد جماعة ما، بعدما كان الرأسمال ملكية فردية خالصة في نظر بورديو [18].

وانطلاقا من هذا المنظور الجديد لرأس المال، نجد أن النشاط السياحي لـه انعكاسات ايجابية على الرأسمال المشترك لسكان المناطق التي تشهد تدفق ا سياحيا مرتفعا، ويتجلى ذلك بوضوح على المستوى الاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي والحضاري، فالظاهرة السياحية تساهم في تحسين نمط حياة وأسلوب عيش سكان المناطق السياحية، لذا نجد هم أكثر نضجا اجتماعيا ، وأكثر انفتاحا ومرونة في التعامل مع الآخر المختلف، مقارنة مع سكان المناطق المعزولة. فالسياحة تعمل على تنمية وتطوير الرأسمال الثقافي والاجتماعي الجماعي لسكان هذه المناطق ذات الطابع السياحي.

وعليه، فإن السياحة تشكل وسيلة فعالة للتحديث Modernisation، من خلال تجاوز البنى الاجتماعية التقليدية والعلاقات البالية المرتبطة بها، ويمر ذلك بالضرورة من خلال تحرير الأفراد والجماعات من قيود القيم والمعايير القديمة والتصورات الجامدة وفتح الطريق أمام حرية المبادرة، والتخلص من التقاليد المتحجرة

أو الخرافة والأساطير[19]. ويتم ذلك عن طريق التثاقف Acculturation الذي يشير إلى التغير الثقافي الذي يكتسب الفرد أو الجماعة عن طريقه خصائص ثقافية أخرى، من خلال التفاعل والاتصال المباشر، أي اكتساب الثقافة بالمشاركة والاتصال [20].

وفي هذا السياق نشير إلى أن التثاقف قد لعب دورا بارزا في نقل مفاهيم ومضامين التحديث إلى المجتمع الجزائري، إذ عمل على نقل السمات والأنماط الثقافية الغربية إلى المناطق المختلفة من الوطن، ومن أهم العوامل التي قد ساعدت على ذلك، انتعاش القطاع السياحي في فترة السبعينات والثمانينات، حيث كانت الجزائر قبلة لعدد كبير من السياح الأوروبيين، مما جعل البلد منفتحا على الثقافات الأخرى[21].

*** خاتمة:**

من خلال ما تقدم، تتجلى لنا قدرة مفهوم رأس المال لبيار بورديو على تقديم تفسير متعدد الأبعاد للظاهرة السياحية، ففي ضوء هذا المفهوم استطعنا أن نقدم تحليلا أكثر عمقا للنشاط السياحي ، كما مكننا من اكتشاف الأبعاد الخفية التي ينطوي عليها هذا النشاط، والذي أصبح يشكل استراتيجية لدى الأفراد لمراكمة الرأسمال الاجتماعي، الثقافي والرمزي، كما سمح لنا هذا التحليل بتسليط الضوء على الأبعاد غير الاقتصادية للتنمية السياحية، والتي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار عند أي استثمار في هذا المجال الواعد.

*** المراجع:**

1. بيار بورديو Pierre Bourdieu (1930-2002) عالم اجتماع فرنسي، عمل كأستاذ للفلسفة بجامعة الجزائر ابتداء من 1957،عين كأستاذ كرسي لعلم الاجتماع بفرنسا سنة 1982. ثم كمدير للمركز الأوروبي لعلم الاجتماع سنة 1985، تحصل على الميدالية الذهبية من المركز الوطني البحث العلمي CNRS بفرنسا سنة 1993، قام بعدة دراسات حول المجتمع الجزائري نشرها في عدة كتب أهمها:
Sociologie de l'Algérie سنة 1958، Travail et travailleurs en Algérie سنة 1963،
Le Déracinement, La crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie سنة 1964،
2. حسني ابراهيم عبد العظيم، الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي: قراءة في سوسيولوجيا بيير بورديو، في مجلو اضافات، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد 15، بيروت، صيف 2011، ص 60.
3. نفس المرجع، ص62.
4. حنان مراد وحنان مالكي، أثر ا الانفتاح الثقافي على المواطنة لدى الشباب الجزائري، في مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية لجامعة بسكرة، عدد خاص بالملتقى الدولي حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري، ص 546.
5. Pierre Bourdieu, Questions de sociologie, édition originale de Minuit, Paris, 1984, Cérès Productions Tunis, 1993.P 1.

6. أحمد بن نعمان: التعريب بين المبدأ والتطبيق، دار الأمة، ط2، الجزائر، 1998، ص 356 .

7. حسني ابراهيم عبد العظيم، مرجع سابق، ص ص 68-72.

8. نفس المرجع، ص 64.

9. Maurice Lévesque, Le capital social comme forme sociale de capital: reconstruction d'un quasi- concept et application à l'analyse de la sortie de l'aide sociale, PHD, en sociologie des arts et des sciences, université de Montréal, 2000, P24.

10. حسني ابراهيم عبد العظيم، مرجع سابق، ص ص 64-65.

11. Meda Dominique, Le capital : un point de vue critique, P 40, in : http://www.cairn.info/revue-l-economie-politique-2002-2-page-36.htm en date du 30.03.2014.

12. حسني ابراهيم عبد العظيم، مرجع سابق، ص ص 65-66.

13. Lahouari ADDI : Violence symbolique et statut du politique dans l'œuvre de Pierre Bourdieu, In *Revue française de science politique*, décembre 2001, P 8.

14. Mostafa Boutefnouchet : la société Algérienne en transition, OPU, Alger 2004, P 61.

15. Marie-Hélène Moawad, Les Facteurs explicatifs de la consommation ostentatoire- le cas du Liban- Thèse pour l'obtention du Doctorat en Sciences de Gestion, Université Paris IIX, 2007, P49.

16. Ibid, P 48

17. حسني ابراهيم عبد العظيم، مرجع سابق، ص 66.

18. Meda Dominique, Op.cit., P 40.

19. عنصر العياشي، سوسيولوجيا الازمة الراهنة في الجزائر ، في كتاب الازمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص ص235-236.

20.نخبة من أساتذة قسم علم الاجتماع، المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية لطلاب قسم علم الاجتماع، ، دار المعرفة الجامعية 1985، ص15 .

21. أنظر: حسان تريكي، التحديث وانعكاساتـــه على نسق القيم الاجتماعيـــة في المجتمع الجزائري ، في مجلة العلوم الإنسانية ، مجلة أكاديمية محكمة ، تصدر عن جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 31/30، ماي 2013، ص ص 83- 96.